

أضواء البيان

@ 341 @ والحمأ : الطين كما تقدم . ومن هذا المعنى قول تبع الحميري فيما يؤثر عنه
يمدح ذا القرنين : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ
مَّسْنُونٍ { والحمأ : الطين كما تقدم . ومن هذا المعنى قول تبع الحميري فيما يؤثر عنه
يمدح ذا القرنين : % (بلغ المشارق والمغارب يبتغى % أسباب أمر من حكيم مرشد) % (
فرأى مغيب الشمس عند غروبها % في عين ذي خلب وثأط حرمذ) % .
والخلب في لغة حمير : الطين . والثأط : الحمأة . والحرمد : الأسود . وعلى قراءة (
حامية) بصيغة اسم الفاعل ، فالمعنى : أنها حارة ، وذلك لمجاورتها وهج الشمس عند
غروبها ، وملاقاتها الشعاع بلا حائل . ولا منافاة بين القراءتين حق . قال ابن كثير رحمه
الله في تفسيره : (وجدها تغرب في عين حمئة) أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر
المحيط ، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه إلى آخر كلامه . ومقتضى
كلامه أن المراد بالعين في الآية البحر المحيط ، وهو ذو طين أسود . والعين تطلق في اللغة
على ينبوع الماء . والينبوع : الماء الكثير . فاسم العين يصدق على البحر لغة . وكون من
على شاطئ المحيط الغربي يرى الشمس في نظر عينه تسقط في البحر أمر معروف . وعلى هذا
التفسير فلا إشكال في الآية ، والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { قَالَ هَٰذَا
رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ
رَبِّي حَقًّا } وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا { . اعلم أولاً أنا قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب
المبارك : أنه إن كان لبعض الآيات بيان من القرآن لا يفي بإيضاح المقصود وقد بينه
النبي صلى الله عليه وسلم فمننا نتمم بيانه بذكر السنة المبينة له . وقد قدمنا أمثله
متعددة لذلك . فإذا علمت ذلك فاعلم أن هاتين الآيتين لهما بيان من كتاب أوضحته السنة ،
فصار بضميمة السنة إلى القرآن بياناً وافياً بالمقصود ، والله جل وعلا قال في كتابه لنبيه
صلى الله عليه وسلم : { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا
نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } فإذا علمت ذلك فاعلم أن هذه الآية
الكريمة ، وآية الأنبياء قد دلتا في الجملة على أن السد الذي بناه ذو القرنين دون يأجوج
ومأجوج إنما يجعله الله دكا عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه . وقد دلتا على أنه بقرب
يوم القيامة ، لأنه قال هنا : { فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّآءَ وَكَانَ
وَعْدُ رَبِّي حَقًّا } وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ

فِي الْمَسْجِدِ { . وأظهر الأقوال في الجملة المقدرة